

# فراہر

بقلم  
علي حسن غلوم





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# فراخ

بقلم:

علي حسن غلوم

رسوم:

محمد حسين صلواتيان



في قرية صغيرة، قرب شاطئ النهر كان  
يعيش (فِراس) ...

صبيٌ في مثل سنكم...  
تملؤه الحيوية  
والنشاط ويشعر أنه  
في يوم ما...  
سيغدو فارساً  
شجاعاً... تماماً  
كجده «فِراس» فكلاهما  
«فِراس الجد وفِراس  
السبط» خلّقا ليكونا  
فارسين، تملأ  
بطولاتهما  
الآفاق.



وكفراس الجد، كان فراس الصغير يحمل في صدره قلباً كبيراً، يحب الخير  
للجميع...

كما يحبه لنفسه ...

كان فراس كأقرانه من صبية القرية، يخرج صبيحة كل يوم نحو شاطئ  
النهر ...

يلعب ويمرح ويقضي وقتاً ممتعاً في السباحة واللهو بالماء...

واصطياد السمك وصغار الضفادع...

لقد كانت مياة النهر العذبة سلوى أولئك

الصبية في أيام الحر الشديد وملادهم

من أشعة الشمس الحارقة...



وقبيل غروب الشمس تتجمع العصافير في البساتين  
المحيطة بالقرية، وهي تطوف حول أشجار النخيل منسدة  
ألحانها في حركة دؤوبة كأنها لن تهدأ إلى الأبد...  
وأما الصبية فقد كانوا يحملون الفخاخ والمقاليع  
ليصطادوا بها بعضاً من تلك العصافير، وكلّ منهم  
يباهي الآخرين بعدد ما اصطاد، وقدرته على  
التهديف...

ولم يكن فراس ليشاركهم في ذلك، بل كان يقف  
بعيداً يترقب المنظر المؤلم للعصافير الهاربة فزعاً  
من أحجار المقاليع التي تتطاير من كل جهة  
بسرعة خاطفة.

لقد كان فراس يحب العصافير، وينهى صبية  
القرية عن إلحاق الأذى بها... إلا أن الصبية  
ما كانوا يعيرون كلامه أي اهتمام...



ولفراس صديق من العصافير... عصفور صغير جميل المنظر يأتيه كل صباح  
عند طلوع الشمس، فيقف على النخلة المطلة على بيت فراس ملقياً تحية الصباح  
بتغريد عذب، إلى أن يطل فراس برأسه من نافذة بيته البسيط ... وما أن يرى  
العصفور صديقه فراس حتى يبدأ بالطيران داعياً فراس للخروج في نزهة بين  
البساتين...

واعتماد فراس أن يأخذ معه غرفةً من حبيبات القمح يقدمها لصديقه العصفور...  
يفتح فراس يده، ويهبط العصفور على كفه يلتقط حبيبات القمح  
ويعمل فراس بيده الأخرى على رأس العصفور  
لتداعب أنامله الريش الجميل...





وطالما تمنى فراس أن يكون له ريش كريش هذا العصفور، وأن  
يكون له جناحان يطير بهما في حرية تامة أينما شاء...  
فراس يعشق الحرية، ولذا فهو لم يشارك صبية القرية في  
اصطياد العصافير، لأنه يرى أن جمال العصافير في بقائها  
حرة قادرة على الطيران والانطلاق إلى كل مكان ...  
وبلا قيود...

في المساء عندما تحين ساعة المنام، يضع فراس سيفه  
الخشبي بجانب رأسه...  
وقبل أن يغمض عينيه يلقي على السيف نظرة أخيرة ثم  
يستغرق في أحلامه بالمستقبل حيث سيغدو فارساً يمتطي  
فرسه الأدهم، وييده السيف المهند، يدافع به عن الحق،  
وينتصر به للمظلومين...  
وتتوالى المشاهد أمام ناظري فراس إلى أن يغلبه النعاس...  
ويستسلم لنوم هنئ في سكونه وهدوء...





وفي صبيحة يوم كئيب، استيقظ  
فِرَاس من منامه فزعاً حزيناً، إذ رأى  
كابوساً مزعجاً... رأى السماء وقد احمرّت  
كالدم... والأرض امتلأت بالأشواك  
والأفاعي... والرياح تعصف وتدمّر وتقتلع  
أشجار النخيل من جذورها... وقد خرج أهل  
القرية من مخادعهم مُطرقِي الرؤوس يلفهم  
صمتٌ غريب...

نهض فِرَاس نحو نافذة حجرته، وأطل برأسه  
باحثاً عن صديقه العصفور... لقد تأخر ولم  
يظهر كعادته على النخلة... أيكون مكروهاً قد  
أصاب صديقه ؟! أيكون هذا معنى ما رآه في

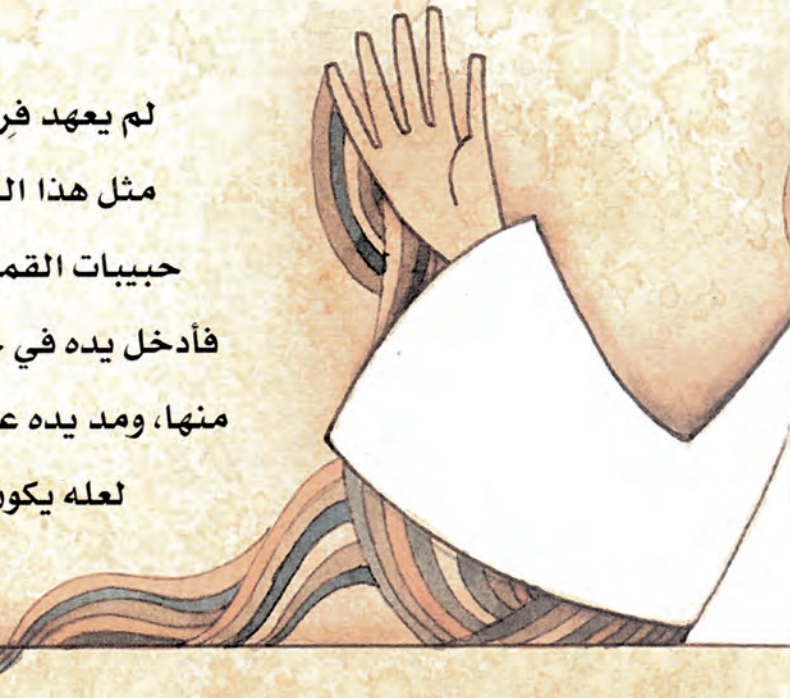
منامه ؟!



شعر فراس بقلق شديد، وخرج من بيته باحثاً عن  
صديقه العصفور... ولما أحس بالتعب، اختار ظل  
شجرة يجلس تحتها، يفكر فيما قد يكون وقع  
لصديقه الصغير...

وبعد مدة قصيرة، ظهر العصفور، وقد بدى عليه الرعب  
والحزن، يطير في حركة عشوائية، مصدراً أصواتاً تنم عن الفزع  
والألم... يقترب تارة من فراس، حتى إذا مدّ الصبي يده ليحتضن  
العصفور بكفيه، أسرع العصفور مبتعداً يقفز من غصن إلى آخر  
مسترسلاً في صياحه وأنيته.

لم يعهد فراس من صديقه العصفور  
مثل هذا التصرف من قبل، وتذكر  
حبيبات القمح التي عهد تقديمها له،  
فأدخل يده في جيبه، وأخرج حفنة  
منها، ومد يده عالياً نحو العصفور  
لعله يكون جائعاً فيسكن...





ولكن العصفور لم يهدأ، ولم يُعر اهتماماً  
لحببيات القمح، بل صار يحلق فوق رأس  
فِرَاس، كأنه يطلب منه اللحاق به ولكن إلى  
أين ؟ ولماذا ؟

ألقي فِرَاس حببيات القمح على الأرض، ومد يديه  
فوق رأسه ساعياً للإمساك بصديقه المرتعب...  
نجح فِرَاس بعد عدة محاولات، وأمسك بالعصفور بحنان، وصار يهدئ من  
روع صديقه، ويمسح على رأسه وظهره بحركات خفيفة وادعة... إلى أن  
شعر بدقات قلبه الصغير وهي تتباطأ...  
احتضن فِرَاس العصفور بكفيه، وأدناه من وجهه، وصار يداعبه بوجنتيه،  
ويتحدث إليه مستفسراً عما جرى له، وما الذي أفزعته؟

وكانت الصدمة حين رأى فِرَاس الدماء على جناحي العصفور ورأسه...  
والتقت عينا العصفور الصغير بعيني فِرَاس، وكأنه قرأ فيهما أن الصبي  
قد أدرك ما يريد، فانطلق من بين أنامل فِرَاس يطير متجهاً نحو النهر  
القريب...



أسرع فراس نحو بيته، وأخذ سيفه  
الخشبي الذي لم يكن ليغادر قريته  
من دونه ... فهو فارس شجاع،  
لا يمكن أن يتخلى عن  
سلاحه أبداً... ثم خرج  
مسرعاً خلف العصفور  
وهو لا يدري ما الذي  
سيكون بانتظاره عند  
شاطئ النهر...

استمر العصفور الصغير في الطيران نحو النهر إلى أن عبره إلى الضفة  
الأخرى، فقفز فراس على ظهر قارب صغير مصنوع من القصب المنتشر  
على ضفتي النهر، وجدف بكل ما أوتي من قوة حتى وصل الشاطئ  
المقابل، فنزل مسرعاً وصار يجري ويجري إلى أن سقط منه السيف  
الخشبي... توقف فراس، وأخذ السيف، وبقي كهيئة الراكع وقد وضع  
كفيه على ركبتيه محاولاً التقاط أنفاسه... ثم رفع رأسه وأخذ ينظر  
يميناً ويسرة لعله يجد شيئاً يدل على وجهته... ولكنه لم ير سوى  
صديقه العصفور الذي مازال يلح عليه باللاحاق به وهو يغدو ويجيء  
طائراً كالحيران...

وعاد فراس يجري من جديد...  
بعد مدة... تراءت أمام فراس آثار خيام محروقة...  
وبقايا حاجيات منهوبة... ورماد... رماد في كل مكان...  
حط العصفور بالقرب من ذلك المكان الموحش، حتى إذا اقترب فراس  
أكثر وأكثر، طار الصديق الصغير بعيداً... بعيداً جداً... وصار فراس  
يتتبعه بعينه إلى أن غاب في الأفق...



أخذ فراس يتخطى

بين تلك الآثار

مصدوماً...

إذ يبدو أن من بين من

كانوا هنا بعض الأطفال

والنساء...

فتلك دمية ملطخة بالدماء..

وذلك خمار امرأة ممزق قد علق

بطرف عمود خيمة محترقة

وصار يرفرف كراية

تحكي قصة مؤلمة

وفي كل جهة آثار دماء...

ودماء...

اصطبغت بها

أرض المخيم المنكوب...

ولكن أين هي الأجساد؟ هل أكلتها السباع؟ أم دفنت على عجل؟  
تقدم فراس أكثر وأكثر نحو سوادٍ بدى من بعيد مطروحاً على الأرض بلا  
حراك... وكلما اقترب، كلما تعدد له السواد... بدأت رجلاه ترتجفان، وشعر  
بالوهن إذ ظهرت أجساد القتلى منتشرة على أرض المعركة، وصار يحدث نفسه  
بالعودة من حيث أتى، ولكن صوتاً ما بداخله كان يحثه على التقدم... وتذكر أنه  
فارس شجاع لا يهاب شيئاً، وأن السيف بيده... فمم يخاف؟  
استمر فراس بالتقدم نحو تلك الأجساد المرملة بالدماء، ولاحظ أن بها  
شيئاً غير عادي... شيئاً غريباً... شهق فراس شهقة عميقة أخذت معها ما  
تبقى من قوة في جسده، فخرّ على الأرض جالساً على ركبتيه، وصار  
يحدق في دهشة عظيمة... إنها  
أجساد بلا رؤوس... كلها أجساد بلا رؤوس!!

بل هي بقايا أجساد مقطعة  
مثخنة بجراحاتها، نبتت السهام في  
أنحاء متفرقة منها، وتناثرت



أعضاؤها في كل مكان...

ومن بين تلك الأجساد، ظهرت أجساد أطفال احتضنتها  
الدماء والرمال، وكأن المجرمين الذين ارتكبوا هذه المجزرة لم  
تهنأ لهم جريمتهم إلا بقتل الأطفال وحرمانهم من حق  
الحياة...

لقد كانت آثار وطئ الخيول أجساد القتلى بادية واضحة...  
حتى الأطفال تهشمت عظامهم الضعيفة تحت  
حوافرها... كل شيء بدى لفراس كان يصور له بشاعة  
الجريمة، ووحشية القتلة  
وبسالة القتلى...



وشعر فراس بالرياح تشتد من حوله، وتذرو الرمال على الأجساد، كأنها تسعى لدفن ما تبقى منها لتوارىها حياء من هول ما جرى في هذا المكان المكروب...  
وبدأت أشعة الشمس الحارقة تتلاشى وتختفي خلف السحاب المنتشر في السماء،  
وكان الشمس تتوارى خلفها حزناً لما جرى على هذه الأرض التي عمها البلاء...  
وفي تلك اللحظات أحس فراس بأصوات تقترب منه، فسارع بالاختباء خلف ريوه قريبة خوفاً من أن يكون القادمون هم المجرمون أنفسهم الذين سفكوا هذه الدماء...  
ومن خلف الريوه بدأ فراس يشاهد مجاميع المقاتلين الراجلين يقتربون أكثر فأكثر،  
وقد امتشق بعضهم السيوف، والبعض الآخر تسليح بالرماح، وكانت حركاتهم متسارعة كلما دنوا من موقع المعركة...  
كانت أصوات أقدام الرجال ممتزجة بصيحات بدت غير مفهومة، إلا أنها سرعان ما تشكلت في نداء واحد متكرر:

### يا حسين... يا حسين

وحين وصل الرجال إلى أرض المعركة بدءوا يلقون أسلحتهم على الأرض ويهرولون بجزع نحو الأجساد المقطعة، بين باك ولاطم وصائح، وصار كل واحد منهم يلقي بنفسه على جسد من الأجساد... يقبل ما تبقى منه،  
ويذرف الدمع الحزين...





شعر فراس بالاطمئنان، وخرج من خلف الربوة، حين أدرك أن أولئك الرجال لم يكونوا سوى أهل قريته، فهذا عمه... وذاك خاله... وذاك أبوه... يندب ويبكي وينوح بأشعار حزينة، وهو يردد من حين إلى حين:

### يا بن رسول الله... يا حسين

وقف فراس عند أبيه، وجثا على ركبتيه واحتضنه... فالتفت الأب وقد امتلأت عيناه بالدموع وقال: اندب معي يا بني هؤلاء الطيبين... اندب معي أبناء الرسول والبتول... ياليتني كنت معكم لأفديكم بجسدي وروحي... وعاد الأب فألقى برأسه على الجسد المسجى وهو يبكي...

بعد قرابة الساعة سكن الأنين نوعاً ما، وخيم السكون على المكان، وبدأ أهل القرية في دفن القتلى، حتى إذا ما انتهوا قفلوا عائدين إلى مساكنهم بخطى متثاقلة في حسرة من وداع الأحبة...

وعاد فراس مع أبيه الذي صار يخبره عن الحسين... من هو... ومن هم صحبه وأنصاره الذين استشهدوا في طريق الحق... دفاعاً عن الدين... وانتصاراً للمظلومين... وطلباً للحرية...





عرف فراس من أبيه أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو  
جد الحسين لأمه فاطمة عليهما السلام، وأنه خرج من مكة المكرمة  
حين استدعاه أهل الكوفة لينصرهم على الحاكم الأموي يزيد بن  
معاوية الذي أذاقهم أنواع العذاب والهوان، إلا أن الحسين عليه  
السلام لم يصل إلى الكوفة، حيث حاصرت جيوش يزيد بعدها  
الكبير...

الكبير جداً...

بينما لم يكن مع الحسين أكثر ممن كانوا مسجّين على أرض  
المعركة...

وهم لا يتجاوزون الثمانين...



« واستشهد الحسين... »

واستشهد معه أنصاره...

ولكن روح الثورة على الظلم أضحت في

عروق الأحرار في كل مكان... »

هكذا قال أبو فراس...

لمعت عينا فراس في تصميم وعزم...

وقبض على سيفه الخشبي بقوة...

وعاهد نفسه حين يبلغ مبلغ

الرجال أن يحمل سيفه المهند...

ويرفعه في وجه الظالمين...

باسم سيد الشهداء...

باسم الحسين.